

## أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

( تمة ما نشر في العدد الماضى )

←————→

والسائر من شعر أبي تمام لا يقل في الصفات التي تؤهله لأن يسير عن شعر المتنبي السائر. وترى كثيراً من هذا الشعر السائر في جميع أبواب شعر أبي تمام من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات كثيرة تدل على بصيرة وفهم وذكاء، وأسباب السيرورة هي التوفيق في الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح وسهولة اللفظ وقوة السيل الشعرى المنبعث من النفس وسلامة الفطرة والدوق. ولأبي تمام أبيات صارت ملكاً مشاعراً مثل قوله :  
وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبت أتاح لها لسان حسود  
ومثل قوله :

فلا تحسبها هنداً لها التندر وحدها سحابة نفس ، كل غانية هند  
وقوله :

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت خلائقه طرا عليه نوايبا  
وقوله :

وطول مقام المرء في الحى مخلق لذي حاجته فاعترب تتجدد  
وقوله :

وقديسترا الإنسان باللفظ خلقه فيظهر عنه الطرف ما كان يستر  
وفي رواية فعله ( أى سبب فعله ) بدل خلقه ؛ وقوله أيضاً :

إن كلية الآداب لها مهمة أعظم مما تظنون .

لا يراد من كلية الآداب أن تقف عند المحكيات في الشئون الأدبية والفلسفية ، وإنما يراد من كلية الآداب أن توظف غايات العقول ، وأن تخلق الفرص لو ثبات الأخيلة والأحاسيس . فمن كان يظن أنه انتصر على كلية الآداب حين رجحها بالحجارة والطوب فليتم قرير العين .

أما كلية الآداب فمن حقها أن تمتز وتستطيل بأن يكون لها في حياة العقل تاريخ .

« مصر الجديدة »

زكى مبارك

يعيش المرء ما استجيا بخير ويبقى العُود ما بقى اللحاء  
وقوله :

وإني رأيت الوشم في خلق الفتى

هو الوشم لا ما كان في الشعر والجلد

وقوله في تمزية الرثاء من قصيدة جلييلة مشهورة :

أتصبر للبلوى عزاءً وحسبَةً فتؤجر أم تسلو سلوً البهائم  
وقوله :

لذلك قيل بعض المنع أدنى إلى مجد ، وبعض الجود عار  
وقوله :

ليس النبيُّ بسيد في قومه لكنَّ سيد قومه التغابي  
وقوله :

وإذا امرء أسدى إليك صنعة من جاهه فكأنها من ماله  
وقوله وفيه روايتان في اللفظ :

ومن الحزامة لو تكون حزامة ألا تؤخر من به تتقدم  
وقوله :

إن شئت أن يسود ظنك كله بمعنى جمهور الناس . وقوله :

فصرت أدلَّ من معنى دقيق به فقر إلى فهم جليل  
وقوله :

قد يُسِمُّ الله بالبلوى وإن عظمت ويتلى الله بعض القوم بالنعم  
وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب  
وقوله :

إن الكرام إذا ما أمهلوا ذكروا من كان بالفهم في المنزل الخشن  
وقوله :

سكن الكيد فيهم إن من أء ظم إرب ألا تُسمى أربيا  
وقوله :

فقد تألف العين الدجا وهو قيدها ويُرجى شفاء السم والسم قاتل  
وقوله :

أنكرتهم نفسي وما ذلك إلا من شدة العرفان

( تنبيه ) : في مقالة ( ميار ) صحة اسم الشاعر الفارسى الفردوسى لا الفيروزى

وإساءات ذى الإساءة يُذَكَّرُ نَكَ يَوْمًا إِحْسَانُ ذِي إِحْسَانٍ  
وقوله :

وقديماً استنبطت طاعة الخلق لى إلا من طاعة المخلوق  
وهذا البيت الأخير فيه إمام بذهب الملاحدة الذين يقولون  
إن الاعتقاد بالخالق فكرة إنسانية ولها نشأة بشرية في قديم الزمن  
بسبب تأليه رب الأسرة ورئيس القبيلة في العصور التي قبل التاريخ.  
على أن البيت يصح تأويله بما لا يخالف الدين. وقد طعنوا في عقيدة  
أبي تمام بسبب تركه للصلاة والصوم وقوله في الشاعر والفروض  
الدينية كلاماً كما جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي وفي غيره  
من الكتب . وقد طعنوا أيضاً في نسبه إلى طى، وبمضهم صحح  
نسبه إلى طى وقال إنه نشأ في فرع مسيحي منها ثم تظاهر  
باعتراف الإسلام؛ وقد مدح الإسلام في مدحه للخلفاء والوجهاء  
ووصف المسيحيين بالشرك والكفر وعبادة الأصنام كما قال  
في مدحه المنتصم ووصف فتحه مدينة (عمورية) وإذا أردنا  
أن نحصى خلاصة الخلاصة من شعر أبي تمام لم نستطع أن نستغنى  
عن المدح، وإن استطننا الاستغناء عن المدح عند إحصاء خلاصة  
الخلاصة من شاعر كالشريف الرضى فإن شعر المدح في صنعة  
أبي تمام يجب إلى القارى قراءة المدح حتى ولو كان ممن لا يميل  
إليه . انظر إلى قوله :

نَسَبَ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نَوْرًا وَمَنْ فَلَاحَ الصَّبَاحِ عَمُودًا  
أو قوله :

خَدِمَ الْعَلِيَّ نَعْدَمَهُ وَهِيَ الَّتِي لَا تَخْدُمُ الْأَقْوَامَ مَا لَمْ تُخْدَمْ  
أو قوله :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرَ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ<sup>(١)</sup>  
أو قوله :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاحِ  
أو قوله :

عَرَّبَتْهُ الْعَلِيُّ عَلَى كَثْرَةِ الْأَهْلِ لِي فَانْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبًا  
وله قصائد كثيرة نغمة حلوة في المدح مثل قصيدته في محمد  
ابن عبد الملك الزيات التي يقول في مطلعها :

(١) هذا البيت ينسب أيضاً إلى مسلم بن الوليد

لهان علينا أن نقول وتفعلنا ونذكر بعض الفضل منك ففضلنا  
أه الأبيات التي يقول فيها :

ليس الحجاب يَمُقِّصُ عَنْكَ لِي أَمَلًا  
إِنَّ السَّمَاءَ رَجَّحِي حِينَ تَحْتَجِبُ  
وإجاده في المدح إجابة يطول حصرها، وهي ليست في مدح  
الأحياء فحب بل هي أيضاً في مدح الموتى في الرثاء مثل قوله :

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لِيَخِيلُ  
أو قوله في رثاء بني حميد :

وَأَنْفَسُ تَسَعُ الْأَرْضَ الْفَضَاءُ فَلَا  
يَرْضُونَ أَوْ يَحْشَمُوهَا فَوْقَ مَا تَسَعُ  
يود أعدائهم لو أنهم قَتَلُوا وَأَنْهَمُ صَنَمُوا بَعْضَ الَّذِي صَنَعُوا  
عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا

بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا  
أو قوله من رثاء ابني عبد الله بن طاهر : « نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ  
أَلَا يَطْلَعَا » إلى آخر القصيدة وهي من مآثور قوله وبها بيت  
يتمثل به كثيراً وهو قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْهَلَالِ نَمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَلَمَلًا  
وقوله أيضاً في مدح الرثاء :

فَالَاءَ لَيْسَ هَجِيْبًا أَنْ أَعْدَبَهُ يَفْنَى وَيَعْتَدِ عَمْرًا لِيَجْنَ الْأَسِنَّةِ  
وأكثر رثائه على هذا النمط : رثاء صنعة نغمة رائعة لا رثاء  
حرقه ولوعة، ولا رثاء وجدان؛ ومن أجل رثاء الصنعة قصيدته

المشهورة التي يقول في مطلعها :

كَذَا فليجبل الخطب وليفدح الأمر  
فليس لمين لم يفيض ماؤها عذر

ولا ينقص من قدرها أنها من رثاء الصنعة فإن الشعر  
كالفن كمة أنواع ولكل نوع طعم ولذة. وله مع ذلك قصائد من

شعر رثاء الماطفة والوجدان مثل رثائه لأخيه الذي أوله :

إِنِّي أَظُنُّ الْبَيْلَ لَوْ كَانَ يَفْهَمُهُ سِدَّ الْبَيْلِ عَنْ بَقَايَا وَجْهِهِ الْحَسَنِ  
والقصيدة التي يقول فيها : « بَارَأَن لِي خَلِّ مَقِيمٍ وَصَاحِبٍ »  
ولكنه أحياناً تفيض الماطفة من رثائه كما قال في رثاء جارية له :

يقولون لا يبكي الفتى غريده إذا ما أراد اعتاض عشر أمكانها  
وهل يستمض المرء عن عشر كفه

ولو صاغ من حُرِّ اللجين بنانها  
فإنمليل يدل على الذكاء، ولكن ليس هذا رثاء الماطفة؛ وكان  
ينبئ أن تكون حجته منزلة الجارية من نفسه لا أن يضمها بمنزلة  
عشر الكف. ومثل هذا رثاؤه محمد بن حميد إذ يقول إنه رآه  
في الحلم فسأله: ألم تمت؟ قال: لا... كيف يموت من كان كريماً مثل  
كرمه خالد. وكان ينبئ أن يجعل الرثى أرفع من أن يقول هذا  
القول الذي كان يستطيع الشاعر نفسه أن يقوله فيه بدل أن  
يضع الرثى موضع المفاخر بكرمه وإبه لو كان حياً لكان حرياً به  
أن يرى من الكرم ألا يفخر بالكرم والبيت هو:

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن فقال لي لم يممت من لم يممت كرمه  
ومن رثاء الماطفة قوله في رثاء ابنه وكان وحيداً بدليل قوله  
(بَيْتِي يَا أَوْحَدَ الْبَيْنَا) وهذه القصيدة هي التي مطلعها: (قد  
كان ما خفت أن يكونا) ولكنها ليست شيئاً إذا وضعت بجانب  
قصيدة ابن الرومي الدالية في رثاء ابنه وهي التي مطلعها: (بكاؤكما  
يشق وإن كان لا يجدي). وإذا قارنا بين غزل أبي تمام وبين  
أقواله في المودة والإخوان وجدنا شعره في الإخوانيات أكثر  
عاطفة ووجداناً وأعلى مرتبة في الشعر مثل قوله:

من لي بإنسان إذا أغضبت وجهه كان الحلم رد جوابه  
وإذا طربت إلى اللداه شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه  
وتراه يصني للحديث بقلبه وبسمه ولمسه أدرى به  
أو قوله:

عصابة جاورت آدابهم أدبي

فهم وإن فرَّقوا في الأرض جيرانى  
أرواحنا من مكان واحد وغدت أبداننا بشأم أو خراسان  
ورب نأى المغانى روحه أبدأ لصيق روحى ودان ليس بالدان  
أو قوله:

جليد على ريب الخطوب وعثها وليس على عشب الأخلاء بالجد  
أو قوله:

وقلت أخ قالوا أخ من قرابة فقلت لهم إن الشكول أقارب

نسيبي في عزى وورأى ومذهبي وإن باعدتنا في الأصول المناسب  
أو قوله:

خيلى ماراً تمت طرفى بهجة ولا انبسط منى إلى لذة يد  
ولا استحدثت نفسى خيلاً مجدداً

فيذهلنى عنه الخليل المجدد  
أو قصيدته في علي بن الجهم التي يقول فيها إن ودها (عذب  
تحدر من غمام واحد) أو قوله:

ونكشفت الإخوان إن كشفتهم

ينسيك طول تصرف الأيام  
أما غزله فكثير منه من قبيل التنزل بالعلمان وأكثره غزل  
حواس وليس به عاطفة عميقة أو وجدان. وأكثره مقطوعات  
صغيرة في أغراض أكثرها بنت ساعتها ولعلها من عفو القريحة.  
هكذا أكثر غزله ولو أن به ذكر الدموع التي تحولت إلى دماء  
(إنسى صبرى واجعل الدمع دما)، وذكر آلام الحب وحرقاته  
ولكنه ذكر لا يدل على شعور عميق كما يدل غزل العذريين،  
ولا علي وجدان كوجدان العباس بن الأحنف أو كوجدان  
الشريف الرضى. وله في أول قصائد المدح بعض الغزل الرقيق،  
وهو مولع بذكر محاسن أعضاء الجسم كالعيون والحدود... الخ.  
أنظر قوله:

صب الشباب عليها وهو مقتبل

ماء من الحسن ما في صفوه كدر  
لولا العيون وتفتح الحدود إذا ما كان يحسد أعمى من له بصر

وكثير من غزله يشبه غزل أبي نواس، ولعل هذا هو سبب  
ورود قصائد في الغزل في ديوانه وفي ديوان أبي نواس مثل التي  
أولها (قال الوشاة بدا في الخد الخ) والتي أولها (أفتيت فيك معانى  
الشكوى) والتي أولها (وفاتن الألفاظ والخد). ومما هو شبيه  
بالغزل في قصائد المدح مما يستحسن الأبيات التي يقول فيها:

أدار البؤس حسنك التصابي إلى فصرت جنات النعيم  
والتي يقول فيها:

يا موسم اللذات غالتك النوى بعدى فريمك للصبابة موسم

والتي يقول فيها :  
 أصبحت روضة الشباب مشيا رغدت بوجه الليل سوما  
 والتي يقول فيها :  
 ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام  
 وله في النزول والوصف :

بأشرف الماء وهو في رقة الصنعة كالماء غير أن ليس يجري  
 خدش الماء جلده الرطب حتى خلقت له لابساً غلالة نخر  
 أما قوله في المنيعة الفارسية فن عذب القول وهي قصيدة  
 مطربة وهي التي يقول فيها :

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدني فلم أجعل شجاها  
 وفي باب الوصف من شعره أشياء بلغت منزلة عالية من الجودة  
 نجملنا نأسف لقلتها ونود منها المزيد . ومن هذه القصائد وصفه  
 لفتح عمورية ، ووصف السحابة في أرجوزتها المشهورة ، ووصف  
 القلم في قصيدة يقول فيها : ( لك القلم الأعلى الذي يشبهه ) وهو  
 وصف مشهور أيضاً وهو من قصيدة مدح كوصف فتح عمورية .  
 ومن وصفه أيضاً أرجوزة ( إن الربيع أثر الزمان ) ، ومنها أخذ  
 البحترى قوله : ( وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكاً<sup>(١)</sup> ) . وأحسن  
 قصائده في وصف الطبيعة قصيدته التي يقول في أولها : ( رقت  
 حواشي الدهر فهي تترمرر ) وفيها يقول البيت المشهور :

تريا نهاراً مشمساً قد شابه نور الرُّبِّي فكأنما هو مقمر

(١) في مقال عن البحترى سيشار إلى صلته الأدبية بأبي تمام . وقد  
 أطلال الآمدى في الغارة بينهما في كتاب ( الموازنه )

صعبت وراض الزجسيء خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء  
 وضعيفة فإذا أصابت فرسة فتلت ، كذلك قدرة الضعفاء  
 وكان بهجتها وبهجة كأنها نازة ونورٌ قيِّداً بوعاء  
 أودرة بيضاء يكره أطبقت حملاً على ياقوتة حمراء  
 يخنى الزجاج لونها فكأنها في الكف قاعة بنسب إناء  
 ولها نسيم كالرياض تنفست في أوجه الأرواح بالأنداء  
 وقد أسقطت بعض الأبيات للاقتصار ، والبيتان الأخيران  
 ينسبان إلى البحترى أيضاً في قصيدته له . ولأبي تمام إجابة في الهجاء  
 وله فيه قصائد سائرة مثل قوله :

كم نعمة لله كانت عنده فكأنها في غربة وإسار  
 كسيبت سباب أومة فتضاءلت كتضاؤل الحناء في الأطار  
 وقوله :

مسار لو قسيم على النوائ لما جهمزنا إلا بالطلاق  
 خلاصة الخلاصة من شعره لا بد أن تشمل شيئاً من كل باب  
 وهذا يدل على علو منزلته ومقدرته .

عبد الرحمن شكرى

أبرار المرضى  
 بالبول السكبر  
 لا يحيد لكم إن يأسوا من رضكم  
 أن تجربوا الدواء الجديد  
 فربما الدواء  
 أن يضرنا على  
 الصبر الحامه  
 المرصه الطيبه السانك الدارم حمانس جلاله هورفين ص ب ٢١٥